# قرأت العدد الماضي من "آداب"

## القصائد

بقلم : شوقي خميس

***

الظاهرة العامة في قصائد العدد الماضي هي سيادة الاتجاه الرومانسي في جميع القصائد حتى نستطيع اطلاق صفة الظاهرة على الصفات المشتركة بينها ، ولا يمكننا اسناد هذا الطابع العام الى عامل الصدفة نظرا لان نفس الشعراء قد سبقت لهم أعمال تعكس حسا واقعيا بالحياة وقدرا لا يمكن اغفاله من الموضوعية .

والرومانسية في حد ذاتها ليست مأخذا او امتيازا في العمل الفني وانما هي اتجاه راسخ الوجود في ميدان الشعر وخصوصا في ميدان القصيدة الشعرية ، وهي اتجاه أضاف مكاسب جمالية لا تحد الى التعبير الشعري . ولكن الرومانسية مجسدة في عمل ما من الاعمال الفنية قد تكون ثورة وقد تكون هروبا وقد تكون تراجعا الى الوراء ، ويتوقف ذلك على ما تحمله تجربة الشاعر الخاصة من صفات ايجابية وسلبية ، أما في قصائد العدد الماضي فتمثل الظاهرة الرومانسية تراجعا الى الوراء في حركة الشعر العربي الجديد ، تمثل تنازلا عن مفهوم التجربة الشعرية في القصيدة ، هذا المفهوم الذي يتطلب في القصيدة حدا أدنى من الموضوعية وكان تأكيده من المكاسب التي أضافتها حركة الشعر الجديد الى الشعر . فاذا صادفتنا بعد ذلك قصيدة تحمل تجربة خلت التجربة من الجدية ، واذا صادفنا موضوع متعلق بالخارج دفعت سطحية المعالجة الشعرية بالموضوع الى مستوى النثر التسجيلي ، هذا في الوقت الذي تضعف فيه مبررات هذا الاتجاه في أرض ما زالت تعاني من آلام الولادة الجديدة بينما يحيط بها الاعداء من كل جانب . ولكن اذا كان الموقف الرومانسي في جوهره يعكس رفضا للواقع ومحاولة للفرار منه بدافع ذاتي غالبا فان هذا الدافع الذاتي يختلف في قيمته من شاعر الى آخر ، ومن قصيدة الى أخرى حيث ان الذات في النهاية لا تنشأ من انفراغ او في الفراغ وانما هي محصلة ظروف الواقع المحسوس مضافة اليها حساسية الشاعر الخاصة ، لذلك فان موقف الرفض الرومانسي ومحاولات الفرار لا تمنع من ظهور صورة الواقع المرفوض او العالم الذي ينشد الشاعر الفرار منه بصورة او بأخرى . ومن خلال التناقض بين حلم الشاعر وبين العالم المنبذى خلف هذا الحلم قد يستطيع المتلقي ادراك قيمة القصيدة .

### القرن العشرون ـ كمال نشأت

تلمس القصيدة تناقضا صارخا ورهيبا من تناقضات عصرنا حيث تشير الى الناس الذين يموتون جوعا في الهند بينما يتعالى التهليل لانتصارات الانسان في غزو الفضاء الخارجي ، وهي لا شك لمسة شعرية أصيلة تدفعنا الى ادانة الزمان كما فعل الشاعر في نهاية قصيدته . ولكن الوقوف بالقضية عند حد الادانة والاستنكار فقط هو الذي أضفى على هذه القصيدة ذات الموضوع الواقعي طابعا رومانسيا ـ « وبعد فان العصر الذي أعيش فيه لا يخيفني ، عصري البائس المشبع بالنفير ، عصري الشجاع ، والكبير ، المليء بالبطولات ... ان نرقد الان ، لنستيقظ بعد مائة سنة يا حبيبتي ـ لا . انني لست هاربا » ـ وربما توضح المقارنة بين كلمات ناظم حكمت هذه من قصيدته القرن العشرين وبين كلمات الشاعر كمال نشأت كيف تبدو النظرة الرومانسية الى الواقع أحادية الجانب بينما تتصف النظرة الواقعية بالشمول .

### المراحل الثلاث ـ محمد النقدي

في المقطع الاول من القصيدة يقدم الشاعر صورة للطفولة تكاد تكون نموذجية في تعبيرها عن براءة حياة الطفل واحساسه بالطبيعة والوجود من حوله ، ثم يكشف الشاعر عن جانب اكثر عمقا في هذه المرحلة من حياة الانسان يصور الاطفال وهم يدافعون عن لعبهم ضد الرياح تماما كما قد يفعل الكبار وقد لا يفعلون أحيانا ، ولعل هذا الجزء من القصيدة هو أجمل أجزائها حيث يعبر الشاعر عن عالم مبتعد عنه نسبيا . ففي المقطعين الثاني والثالث من القصيدة ينشغل الشاعر بوصف نفسه كمفكر يشحذ القلم ليسمع الارض صداه النير العميق وبنفسه أيضا كمفامر يحلم بان يفتح للبشر عوالم الشموس والامان والمحبة وينشأ من هذا التضخم في الاحساس بالذات أن يختل التوازن في القصيدة بين ما تقدمه من أحلام وبين ما تقدمه من حقائق الحياة على حساب الحقائق بالطبع .

### العصفور الازرق ـ عبده بدوي

رغم ذاتية الموضوع في قصيدة العصفور الازرق حيث يحدثنا الشاعر عن تجربته في الابداع الفني فان القصيدة تكتسب شكلا أنيقا متماسكا يربط بين مقاطعها الرمز الواحد النامي ، فنرى العصفور الازرق في أول القصيدة معادلا لحلم الشاعر بتحقيق الابداع الممتزج بالفرح حين يفتح الشاعر لعصفوره محار النجوى ويمهد له المكان من كيانه المتوثب ويدعوه في النهاية لان يأتي في بساطة عميقة ـ فاعرف عشك ـ . وننتقل بعد ذلك الى عالم العصفور ، عالم الجمال كما يتخيله الشاعر عبر سلوك الضوء الممتدة وعباءات الغيم الكسلى وروابي العطر المبحوحة . ثم يحدث اللقاء ولكنه لا يتحقق ببساطة وانما يستثير في الشاعر ذكريات كل لقاء حيث تحيط به المتاعب لانه من المستحيل أن يتم اللقاء الا في هذا العالم . ولكن صورة العالم ومتاعبه تتجسد هي الاخرى في رموز متسقة مع الرمز الاساسي في القصيدة فهي مليئة بسخرية النسور الكواسر والغربان الموجة الرقاب والصقور اللاهثة والطواويس المكسورة الظهر والثرثرة التي لا نهاية لها . وتمتزج فرحة اللقاء بالاحساس بالقهر وتجذبه الاكف في النهاية هو وعصفوره الازرق ( رمز الجمال الخالص ) الى الارض .

ولا يجد مفرا من النزول من جنته ليقول كلاما مثل كلام الناس عن « ليل مكسور لا يحمل نوما ، عن « فيروز » في بيروت ، وبقايا حزن ليس يموت ، عن قهوتنا في هذا الركن الساجي من المقهى ، وتململنا ... وتثاؤبنا ، وأدرنا ظهرينا في صمت قاتل ، والبهو يعد علينا الخطوات ، وكأنا نحمل شيئا مات » ـ انه وداع حار لعالم الفن للفن ، وداع لعالم الجمال الخالص يميزه الصدق ، ويقف بنا على عتبة عالم جديد ، عالم الرؤية الواقعية للحياة والانسان ..

### بكائية الليل والظهيرة ـ أمل دنقل

لعل قصيدة الشاعر أمل دنقل هي أقرب القصائد الى الوجدان العصري رغم رومانسيتها الحادة اليائسة ، فان الشاعر يستطيع

باستمرار خلق الصور الجزئية بذكاء عميق يكشف عن شيء أصيل مما يعتري حياتنا هذه ، وهو قادر على ذلك سواء استمد صوره من الطبيعة أو من الواقع اليومي ليلمس شيئا جوهريا فنيا كتلك المراره - التي تسمم البراءة في تساؤل طفلنا ... « من أين جاء » - ولكن اذا نظرنا الى الصورة العامة للقصيدة وليس الى الصور الجزئية فقط سيبدو البناء مفككا وخاليا من الترابط المنشود في العمل الفني لا كقاعدة مدرسية وانما كعنصر من العناصر المؤدية الى توحيد اثر العمل الفني في النفس وتعميقه . ان المقطع الاول في القصيدة يصور حلما يختفي فيه كل اثر للالام الواقعية التي تبدو لنا في المقاطع التالية . كذلك فان ادراك الشاعر للجانب المؤلم في الحياة ادراك أحادي الجانب لا يبصر سوى نصف الكوب الفارغ منها مما يدفع به في النهاية الى القول بعبثية هذه الحياة ولا جدواها . ولكن الصور الجزئية المتناثرة في القصيدة تحمل نقدا ذكيا وقدرة رائعة على الملاحظة ذات المعنى . وكذلك فان الطابع الانفعالي الحاد الذي يتميز به شاعرنا يؤكد انه ليس الشاعر الذي يكتفي بموقف المشاهد ويبشر بأنه سيتخطى رومانسيته الجديدة هذه وينحاز الى واقع الحياة مقدما لنا أعمالا أخر اكثر ثراء .

## شرف العائلة - أنيس زكي حسن

وصف بارد فيه امتهان للجسد الانساني ولهث وراء الصور وحس تقليدي في بناء القصيدة وتسجيل عقيم مللنا ترديده في القصص التجارية دنياي رجال تقترف ... وصبايا تذبح كالشاه ) . ان الشاعر يتحسس المأساة بنصف عين ويبحث عن الصورة المزخرفة بالنصف الاخر . انه يستمتع بوصفه المسهب لجسد المرأة في نفس الوقت الذي يرتدي فيه ثوب المصلح الاخلاقي . ان مهمة الشاعر الاصيلة هي الاكتشاف وليس التسجيل والا لن يقدم سوى مثل هذه القصيدة الضعيفة .

## الطوفان - عبد الرحمن غنيم

والشاعر في قصيدة الطوفان ينعي البطولة الضائعة - الفارس مات - ولكن ما صورة هذه البطولة ؟ ان القصيدة لا تقدم أي اجابة فنية على هذا السؤال وانما تقدم استطرادا موتولا يصور فيه الشاعر عالما يسكنه الاموات ويعجز فيه الانسان عن مجرد الحلم ويفقد كل أمل في عالم اخر . ان قصيدة الشاعر عبد الرحمن غنيم تجرد الواقع وتسلبه عناصر جوهرية فيه بحيث يبدو لنا في النهاية عالما يدعو لليأس ... انها تمثل فرارا من المواجهة الى عالم الحزن الرومانسي اللانهائي . فمتى يهبط الشاعر من سماء حزنه الى الارض حيث الانسان مهدد وفي مسيس الحاجة الى الكلمة المضيئة .

## الى سلام بن عصفور - فؤاد الخشن

في مقدمة القصيدة تحكي قصة الرجل الذي يظن انه السندباد وفي المقطع الاول تعاد قصة الرجل والسندباد في نظم جميل ولكن هل هذه مهمة الشاعر ؟ أن يحاكي ما وجد بالفعل من قبل ؟ وننتقل الى المقطع الثاني في القصيدة آملين أن يكون الشاعر قد اكتشف الجسر الموصل بين هذا الرمز العظيم المعروف في تراثنا وبين حياتنا الحاضرة فلا نجد سوى مقارنة يعقدها الشاعر بين السندباد وبينه شخصيا . لقد غامر السندباد بهدف الكشف عن اسرار الحياة فما هدف شاعرنا من المغامرة ؟ انه كما فهمنا اصطياد الكلمات البكر واكتشاف ذاته واكتشاف حقيقة الانسان وهي أهداف نبيلة بلا شك ولا جدال ولكن الاكتشاف المجسد شعرا هو مطلبه ومطلبنا حقا وليس مجرد التغني بالنوايا والاهداف .

## الليل والقنديل المطفأ - محمد القيسي

ترسم القصيدة صورة مغترب عن وطنه ، صورة حزنه الثقيل وحلمه بالعودة في حرارة مبدعة ولكن كم أود أن أهمس في اذن الشاعر : لن تكفي الصلوات والابتهال ولن يكفي أيضا الصراخ ، كما أود أن أقول له ان العذاب لا يميت الشعوب فهم يتعذبون في عدن والجنوب العربي وفيتنام و ... ولكنهم لم يموتوا ولن يموتوا ، يقول الشاعر في المقطع الاخير من قصيدته انه يتحدى في اصرار جلاد العصر فنتوقع شيئا من ايجابية العاطفة ولكن سرعان ما يخيب ظننا عندما يقدم بعد ذلك أسلوبه في التحدي بأن ... ينهل من كأس الصبر ، ومع الخفقات ونوح الآه ، تورق أزهار محبة - أي أزهار محبة هذه التي ستولد وسط خرائب المأساة الدامية ؟ لن تنقذنا معجزة بالتأكيد ولن يفيدنا النواح والآهات .

## تنهدات الكسندروفنا - حسب الشيخ جعفر

القصيدة تصور علاقة عجيبة حقا . يلتقي فيها البطل باحدى الفتيات لقاء جسديا أوحت به الطبيعة . ثم تمر فصول وفصول ويعود البطل ليلتقي بالفتاة لقاء جسديا ثانيا من وحي الطبيعة . فما هو المعنى الممكن اكتشافه في مثل هذه التجربة البالغة البساطة ؟ قد يقصد الشاعر الاشارة الى الفكرة القائلة بسطحية العلاقات العصرية حين تفتقد جانب التعرف الانساني وتقتصر على الاشباع الحسي . ولكن ما يفهم من القصيدة أن الفتى والفتاة كانا زميلين في الدارسة مما يؤكد وجود قدر ضروري من المعرفة بينهما ولكن يظهر أن الفتى وزميلته لم يكونا في حالة تسمح لهما بالتفكير ! وقد يكون الشاعر هو الذي ظلمهما بتصوير علاقتهما على النحو غير المفهوم الذي ورد في قصيدته .

القاهرة — شوقي خميس

# القصص

## بقلم : صبري حافظ

***

لا أدري اذا ما كانت المصادفة وحدها هي التي جعلت ثلاث أقاصيص متعاقبة من أقاصيص العدد الماضي تدور حول الغربة ، أم انه تخطيط مقصود من تحرير « الاداب » ... فأقاصيص « أفراح العالم » لمنذر الفرا من دمشق ، و « الغربان » لمحمد كامل عارف العراقي الذي يدرس في لينينغراد ، و « مسامير في العجلة » لصلاح بزركان من اسطنبول ، تدور كلها ، برغم اختلاف البقاع التي صدرت عنها ، حول ذلك الموضوع الاثير الذي يحتل واجهة الاقصوصة العربية في الآونة الاخيرة ... وأعني به تنامي الاحساس بغربة الانسان في هذا العالم . ذلك الانسان الذي يكتوي عبر طاحونة الاقاصيص الدائرة دوما بعذابات وحدته . والذي يكاد يتجمد في صقيع انفراده واحساسه الاليم بالعزلة واللاتحقق .. فكل أبطال هذه الاقاصيص الثلاث يتأكلهم التوق الى تحقيق ذواتهم الضائعة بصورة من الصور .. هذا التوق الذي يتأرجح بين الايماءات الشعرية الحساسة في « الغريبان » والافصاح الفني الهادىء في « أفراح العالم » والصراخ الزاعق في « مسامير في العجلة » .. وبرغم اختلاف درجة احساس كل واحدة من الاقاصيص الثلاث بالغربة وتعبيرها عنها ، فان صدق التجربة - الى حد ما - وعمق الاحساس بها يجمعها من حيث تفرقت . ذلك لانه يبدو ان كلا من القصاصين الثلاثة قد عاش غربته الخاصة بوجه من الوجوه ، تلك الغربة التي تفصح عن نفسها عبر الاحساس بالضياع

مرة ، وخلال الحنين الجارف الى الوطن والاحساس المرهف بجزئياته مرة أخرى . بل ويبدو كذلك انهم ـ جميعا ـ لم يعيشوا هذه الغربة على الصعيد الفني فحسب ، بل وعلى الصعيد الواقعي أيضا ، بالدرجة التي انطبعت معها لغتهم جميعا بطابع الترجمة الواضح ، واقتربت تراكيبهم اللغوية من مواقع التراكيب غير العربية بصورة تنبو في كثير من الاحيان عن الاحساس الجمالي بطبيعة اللغة العربية الخاصة وان ارتفعت في بعضها الى درجة من الجدة والرشاقة . فاستخدام بعضهم ، وخاصة محمد كامل عارف ومنذر الفرا ، للجمل القصيرة المحددة المباشرة يعطي اللغة كثيرا من الوضوح التعبيري والبساطة . غير ان هذا قد تم في أغلب الاحيان عبر التأثر بالتراكيب اللغوية الاجنبية .

ففي « الغريبان » يتجسد الاحساس المر بالانفراد والعزلة عبر ايماءات شعرية مرهفة تمج الصراخ والتعليقات المباشرة . فليس من مهمة الفنان أن يعلق على جمال العالم او سخفه ، ولكن عليه ان يقدم لنا صورته الحية فوق الصفحات .. قطعة من الحياة عامرة بسخونتها وطزاجتها وعفويتها وفجاجتها معا . ومن خلال هذه القطعة المتوهجة بالحياة المختارة بذكاء والمقتطعة من تيارها اندفاق بمهارة ودربة يقدم لنا الكاتب ما يريد ان يقوله .. فليس في القصة كلمة واحدة عن احساس بطليها بالغربة أو عن اكتوائهما بعذابات الانفراد والوحدة واحتراقهما بالضياع في صحراوات اللاتحقق .. لكن من تحت قشرة أحداثها المتناهية البساطة تطل كل هذه الاشياء الفاجعة .

فالقصة تقدم لنا لحظة لقاء بين غريبين في موسكو .. فتاة تشيلية من سانتياغو تدرس الفلسفة وشاب عراقي من بغداد يدرس الفيزياء . يجمعهما الحب والغربة والاحساس العميق بالطبيعة .. وتحت سطح هذا اللقاء الذي يلوح من الوهلة الاولى وكأنه لقاء حب عادي بين فتى وفتاة .. ينهض ناعما هادئا رخيا وقاسيا هذا الاحساس العميق بالغربة واللاتحقق . يطل علينا عبر ايقاد الفتاة الشيوعية شمعتين للكنيسة دونما سبب واضح ودون أن تطلب من الله شيئا . وعبر اكتشافها للقبرين الابيضين المطوقين بالاحراش القصيرة . ويطل علينا عبر تفكير الفتى في العجوز التي تشبه العنز الابيض . وعبر عجزه عن ملاحقة قفزات المعرفة الواسعة والجديدة والتي تحيل كل ما رسخ في اعتقاده الى سخف لا معنى له . وعبر عدم معرفته بأي شيء يؤمن ، وتيقنه من انه لا يعرف أي شيء على الاطلاق .. عبر كل هذا يطل الاحساس الفاجع بالغربة واللاتحقق . يعمق من فجيعته تلك الفلالة الشفافة التي تحتضن لقاء الغريبين اللامسميين بفرح طفلي جذل لا حدود له .. وهذا الاسلوب الناضج الذي عولجت به التجربة قدم لنا آرق ما في أعماقها من خلجات وجزئيات متناهية الدقة . فصورة اللقاء الموحية تلك مقدمة لنا بحضورها الصلد دونما وسيط . فليس هناك راو ولم يباعد استعمال ضمير الغائب بين المشهد والحضور ، بل ساهمت ضربات الكاتب الحساسة المباشرة القوية في استنطاق هذا المشهد الهادىء البسيط بكل ما في طاقته من قدرة على الافضاء ، مجسدة عبرة هذا الاحساس الفاجع بالغربة واللاتحقق .

وهذا هو الاحساس الذي نعثر عليه في « افراح العالم » بوضوح اكثر وشفافية أقل . ذلك لان القصة لا تعتمد على هذا الاسلوب الحاد المباشر الذي رأيناه في « الغريبان » ولكنها تلجأ الى المراوحة بين المنولوج الداخلي و « رسالة » يمكن أن يقال انها منولوج داخلي اخر . ومن المراوحة بين هذين المنولوجين تقدم القصة موضوعها الذي يمت بوشائج عديدة لموضوع « الغريبان » .. فهي قصة ذلك العالم الشحيح الذي لا يجود بأفراحه ابدا ، وان جاد بها فللحظة عابرة يهبط بعدها الحزن والضياع وفقدان الامل . مقدمة من خلال لحظة تذكر .. تبدأ بمقدم رسالة ترد بطلها الى هذا الماضي البعيد الذي عرف فيه لوهلة أفراح العالم .. كان هذا عندما كان في لندن الضباب والانطلاق وحب مارغريت التي أتته رسالتها اليوم فردته الى تلك الايام البعيدة الشاحبة بكل ما فيها من سعادة وتوتر وضياع . لذلك فانه كلما قرأ فقرة من هذه الرسالة استدعى من داخله فقرة أخرى تكمل الصورة وتوضح بعدها الاخر .. صحيح ان هذا قد تم في بعض الاحيان بسميترية ذهنية واضحة ، الا انه نجا من هذا التخطيط الذهني المحكم في بقية القصة . فجسد لنا ليس غربة بطلها ومارغريت وحدهما ، بل وضياع جورج وجوليا كذلك .. ولولا حرص الكاتب الشديد على سربلة بطلها الشرقي برداء خاص من الصلابة والاحساس العميق ليس بوطنه فحسب ، بل بالقارة ـ آسيا ـ التي تضم هذا الوطن بأكملها ، ورغبته في القاء أحكام حضارية عن الفرق بين الشرق والغرب ، لاستطاع أن يترك عبر ترديدات نغمية متعددة في أعماق القارىء احساسا قويا بموضوعه واقتناعا صادقا به . فلولا هذه الافكار المسبقة المقحمة على القصة دونما داع ، لاكتست القصة بقدر اكبر من الشفافية والرهافة ، ولاستطاعت أن تقدم ترديدات عديدة لهذا الاحساس الفاجع بالغربة واللاتحقق .. غربة الشرقي عن شرقه وغربة اللندنيين عن لندنهم وضياع الجميع وسط هذه الحضارة القاسية التي لا تسلس قيادها الا لمن يملك عيني نسر .

تأتي بعد هذا « مسامير في العجلة » وهي أشد هذه الاقاصيص الثلاث وضوحا ، بل ان وضوحها يضعها على تخوم الخطابية الزاعقة وان كان لا يسقط بها فيها تماما .. فالقصة تتخذ من القطار ، دون أن تستفيد من ثرائه بالدلالات ، مرتكزا مكانيا تجمع فيه شمل أبطالها الثلاثة ثم تعود على الصعيد الفني فتفرقهم من جديد . تحكي قصة كل منهم في قسم خاص . يسردها فيه بمنولوج يهبط من سماء الاختيار الشعري ، الذي يسمح فيه ذوبان الزمن بحرية الانتقال والقفز بين الماضي والحاضر والمستقبل ، الى أرض السرد العادي المطول الرتيب .. الذي ما يلبث أن ينحدر الى درجة السرد الحكائي الرديء في الجزء الاول من القسم الثاني حيث يقول ، والمفروض ان هذا منولوج « لم أعرف أبي ، ولم تكن أمي بالاطار الذي يمكن ان أتصور الامومة فيه . ولكني كنت أجد في بيتها رغم كل شيء بعض الحنان وأتنفس فيه الطمأنينة . وحاولت خلال سنين طويلة أن أبني نفسي وأضع لمسات جمال لحياتي . ولكن الفراغ والغباء كانا يسحقان كل أحلامي ويبددان أمنياتي . فعملت خادمة في مطعم وفي منزل ، ثم درست في معهد ليلي . ولكن كل ذلك لم يشبع شوقي الى الحياة التي كنت أحلم بها ، فانطلقت من لندن الى ليفربول ثم الى بورتسموث والى دوفر وبروكسل . واشتغلت في مزرعة قرب باريس وأحببت رجلا ثم اخر . ونمت مع من آحب وحملت ثم أجهضت نفسي . ومرضت وعضني البرد في مصح حكومي . وعضني الجوع وأنا أبحث عن عمل جديد . ونمت مع أمير شرقي مرة فضربني ولم يدفع لي شيئا لانه لم يكن أميرا قط . فهربت منه وعشت مع مزارع نمسوي قاس في مزرعة لا يزرع فيها شيء وسط الثلوج فسرقت نقوده وقررت العودة الى لندن لانتحر أو لابحث عن شيء يملأ حياتي بالالوان » .. هذا السرد الحكائي الذي يقدم بصورة ميتة وسخيفة تاريخ حياة الشخصية كله دونما مبرر فني ، يضع القصة على تخوم الخطابية الزاعقة وينبو بها عن أفق العمل الفني الجيد .. ولا يقتصر هذا الضعف على السرد وحده ، بل يتجاوزه الى التخطيط البنائي للقصة . فهي تلجأ الى المصادفة وحدها في تجميع أربعة ركاب بمقصورة قطار يعانون كلهم من الغربة والضياع وعدم التحقق . اشتراكي فوضوي غريب الاطوار . وطالب طب فاشل يدفن ضياعه في أحضان العاهرات . وموظف نمطي مريض ذاهب الى أوروبا للعلاج يحلم بأنه سيذيب جليد الاوروبيات ويصهر برودهن .. هؤلاء هم أبناء الشرق الثلاثة ، أما ابنة لندن فقد جنت عليها طفولتها الضالة وأحالتها رغبتها في الانطلاق الى عاهرة .. يجمع الكاتب بتعمد قسري بين هذه النماذج الغريبة بمحض المصادفة في مقصورة واحدة حتى يقدم لنا قصته .. يجمع لها كل هذه النماذج متوهما انه يعمق بذلك مضمونها بينما هو في الواقع يضعفه .

هذه هي أقاصيص الغربة الثلاثة .. أما الاقاصيص الاخرى فليس

ثمة شيء يجمعها .. لذلك سنتناولها هنا واحدة اثر الاخرى .. ولنبدأ بأكثرها نضجا وشاعرية وهي أقصوصة « في انتظار النوم » لمحمد زفزاف .. وقد هزني من البداية هذا الهدوء الجليدي الذي يعالج به الكاتب تجربته ، والذي تعانقه البساطة الآسرة التي تعتمد على الخط المباشر بين العين والموضوع وبين الموضوع والقارىء . فالقصة تلوح لنا من الوهلة الاولى وكأن لها مقدمة طويلة محذوفة ومركزة في تلك الكلمات الحادة الهادئة المباشرة « الطفلة مات أبوها منذ سنتين وأمها أحبت رجلا اخر ذا شاربين . والطفلة لم يبدأ العالم يتسرب الى رأسها الا مؤخرا .. تكن مجلببا بالضباب » .. منذ هذه الكلمات الاولى يسفر أسلوب محمد زفزاف عن وجهه .. باعتماده على الضربات المباشرة الحادة المحايدة في آن .. وعلى الجمل القصيرة المركزة .. وعلى ترك الاصوات عارية أمام القارىء دونما أي تعليق عليها .. وايثاره للجمل الفعلية المجسدة لحضور الحركة وبساطتها معا .. وباستخدامه الموفق للحوار واسرافه فيه .. بهذا الاسلوب الذي ينهل من مورد الاقصوصة الهمنغوائية الدفاق يقدم لنا الكاتب تجربته .

وهي تجربة شديدة البساطة .. يكمن تحت جلد بساطتها الظاهرية تلك احساس فاجع بعلاقات شديدة التعقيد ... فهي قصة تلك العلاقة الغريبة المعقدة بين الابنة الطفلة والام الارملة والعشيق .. هذه العلاقة المقدمة برغم غرابتها الفاجعة دون صراخ او اسهال عاطفي او تملق فج لانفعالات القارىء واحاسيسه . فالموضوع مقدم ببساطته وصلابته تلك دونما تعليق . لحظة منتزعة بذكاء ومهارة من قلب هذه العلاقة الغريبة المعقدة لتلخص لنا كل ما فيها وتقدم لنا أعماقها دونما زعيق .. وبقدر ما رافق التوفيق الكاتب في اختيار تلك اللحظة الموحية ، جانبه في اختياره لعمر الطفلة .. فالتصرفات والرؤى التي تقدمها القصة لا تتوافق بأي حال مع عمر السابعة الذي اختاره لها .. انها رؤى وتصرفات طفلة لم تتجاوز الرابعة بعد . أما في السابعة ، فان تلك المأساة الفاجعة الكامنة تحت سطح هذه العلاقات البسيطة ما تلبث أن تسفر عن بعض وجهها الحقيقي ، مطلة عبر الايماءات الساذجة والموحية معا .. صحيح ان هذا قد توفر الى حد قليل في تصرفات سرور ـ الطفلة ـ الا انها توفر لها عبر حدقتي طفلة لم تتجاوز الرابعة بعد .. بل انني أعتقد ان الرابعة ليست أوفق في تبرير تصرفات الطفلة ورؤاها فحسب ، ولكن أيضا في خدمة الموضوع الذي تريد القصة أن تقدمه ، وفي تعميق اللحظة التي تريد أن تجسدها .. ولا آخذ عليها أخيرا سوى بعض التعثرات ـ ولا أقول السقطات ـ التعبيرية على صعيد الصياغة اللغوية . تلك التعثرات التي تظل من خلال الجنوح الى الفنائية أحيانا ، والتزيد اللامطلوب أحيانا أخرى .. فما معنى أن يقال « وارتفع صوت الراديو عندما أدارت زرا من أزراره الى اليمين » ؟ وما فائدة الى اليمين هذه ؟!.. ألم يكن من الاوفق الاكتفاء بجملة قصيرة بسيطة لا تتكرر فيها كلمة زره ولا تلحق بها هذه التزايدات اللامطلوبة كأن يقال « وارتفع صوت الراديو » فقط .. وان كان من الضروري أن يضاف اليها السبب فليكن « عندما أدارت زره » ولا شيء غير ذلك .. وما ضرورة أن يقال مثلا عن المرأة التي ترفع جلبابها قليلا لتكشف عن ساقيها بأنها كملكة سبأ في حضرة الملك سليمان ؟!.. فان مثل هذه التزايدات في الصياغة اللغوية ، واللجوء الى الكاف وكأن في التشبيهات ـ لا تتواءم ـ بل تتنافر ـ مع أسلوب القص المباشر . هذا الاسلوب الشعري الرائع الذي أضافه همنغواي الى الاقصوصة .. وقد يقال انني اهتممت بتفاصيل صغيرة لا داعي لها ، وان هذا اعتساف لا مبرر له .. الا انني لم أفعل هذا مع أغلب الاقاصيص .. وفعلته بالتحديد مع « في انتظار النوم » لانني أعتقد انه لا يحق لكاتب أقصوصة جيدة كهذه أن يفلت قلمه مثل هذه التعثرات ..

ولننتقل الآن الى الاقصوصة التالية وهي « أزمة خلق » لاحمد سويد .. هذه الاقصوصة التي تقدم نموذجا واضحا لاقتران النية الطيبة بالامكانيات الفنية الهزيلة .. والنوايا الطيبة وحدها ـ كما يقول أندريه جيد ـ لا تخلق غير الادب الرديء .. فتحت سطح هذه الاحداث الطويلة المطوطة المكرورة تلوح لنا نية الكاتب الطيبة في أن يقول لنا ، بأنه ليس ثمة عمل فني يقوم على الحقد .. بل ولا يقوم عليه أي عمل ايجابي على الاطلاق .. هذا ما تريد القصة أن تقوله لكنها لا تعرف كيف تقوله .. لا تعرف بركام الاحداث المعادة التقليدية عن المدرس ـ الاستاذ حمدي ـ الذي يحقد على زميله ـ الاستاذ عبدالخالق ـ لموهبته الشعرية ... لا تعرف بهذه السخرية الشاحبة من عملية الخلق المدعاة .. لا تعرف بهذا الاختيار البليد للجزئيات ولا بهذا التصوير المسطح لها .. بل انها ـ القصة ـ تقع خلال رغبتها في تعميق مضمونها الانساني ذاك ، في منحدر لاانساني واضح يتجسد عبر سخرية الكاتب المرة من شخصيته وتعاليه عليها .. تلك السخرية التي يصل لذعها الى درجة من الحدة اللامستحبة واللامطلوبة .. والقصة جملة ، صورة واضحة لازمة الخلق عندما يفتقد الكاتب أدوات فنية ناضجة . وتجسيد واضح لما تعانيه القصة من هزال عندما تصدر عن منطقة العقل الباردة وحدها .. تلك المنطقة التي قد تحتوي على بعض النوايا الطيبة ، وعلى بعض المقولات العقلية المقبولة .. ولكنها تفتقر الى حرارة الحس القادرة على أن تكسو هذه المقولات العقلية بأحداث وجزئيات حية نابضة بالصدق والاقناع .

وأخيرا تأتي قصة « الحذاء الاحمر اللامع » لنايف شرف الدين .. وكل ما قلته على « أزمة خلق » يصدق جملة وتفصيلا على هذه القصة .. نية طيبة حقا لكن لا قدرة فنية . بل صوت ميلودرامي زاعق يكاد يصرخ بلاعدالة هذه الحياة ويلعن قسوتها .. وبرغم خصوبة الموضوع الذي يتناوله فان رؤيته له قد اختارت الروافد الناضبة وحدها ، فكانت قصة شاحبة لا تترك برغم علو صوتها في أعماق القارىء أدنى انفعال ..

القاهرة — صبري حافظ


دار بيروت للطباعة والنشر في بيروت
تقدم الى القارىء العربي

## الكامل في التاريخ

كتاب لابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني ، المعروف بابن الاثير الجزري، والملقب بعز الدين، المولود سنة ٥٥٥ هـ ١١٦٠م في جزيرة ابن عمر ، والمتوفي سنة ٦٣٠هـ ١٢٣٤م في الموصل .

وهو مرجع جامع لحوادث الزمان يعد من امهات مصادر تاريخ القرون الوسطى . وسع أخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ، آخذا كل ما في تاريخ أبي جعفر الطبري من الروايات وزائدا عليها ما وجده في تواريخ أخر معروفة . ابتدأ بأول الزمان منذ ادم ، وذكر أخبار مولد النبي محمد وحروبه ، وقبائل العرب وحروبها ، وفتح الاندلس ، وحروب العرب مع الفرنجة ، والحروب الصليبية وانتصار صلاح الدين الايوبي ، وما تعاقب من ملوك ودول ومن حروب وفتوح . دون كل هذه الحوادث بذكر السنين التي وقعت فيها حتى سنة ٦٢٨هـ .

وقد اعتمدنا الطبعة الاوروبية وذيلناها بتعليقات . يمتاز هذا المرجع بما فيه من تدقيق مؤلفه وشدة تثبته فيما ينقل ونقده للمصادر التي استمد منها ، واستدراكاته الوجيهة على الطبري وغيره من العلماء والمؤرخين .

يقع في اثني عشر مجلداً مع مجلد فهارس للاشخاص والامكنة.